

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

التداولية العربية الحديثة "نماذج لدراسات تداولية عربية حديثة"

Modern Arab Pragmatics "Models of Modern Arab Pragmatics Studies"

ربوح عائشة

مخبر "اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب"

جامعة عمار ثليجي الأغواط ، (الجزائر)، rabouh86@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/06/01

تاريخ القبول: 2024/05/01

تاريخ إرسال المقال: 2024/03/03

* المؤلف المرسل

الملخص:

نعالج في هذا المقال موضوع "التداولية" في الدرس العربي الحديث من ناحية المصطلح واختلاف الآراء حوله و تحديد مواضيعه، باعتبار التداولية علما لغويا حديثا انتشر في العقود الأخيرة إلى جانب "البنوية" و"التوليدية التحويلية"، كما سنعرض تنوع و تعدد اصطلاحات المفكرين العرب لمفهوم التداولية نظرا لطبيعته التي تتداخل فيه عدّة علوم "كعلم النفس" و"الأنثروبولوجيا" و"الفلسفة"...، إضافة إلى ذلك فإننا سنعينا إلى إبراز بعض نماذج الدراسات التداولية العربية الحديثة، لبيان بعض من جهود الباحثين العرب في استقصاء ودرس هذا العلم الحديث، الذي يُعنى أساسا بالجانب الاستعمالي للغة بالرجوع إلى مدونات العلماء العرب القدامى، وإبراز المفاهيم التداولية الواردة فيها. ومن بين أولئك الباحثين نجد: أحمد المتوكل، طه عبد الرحمن، مسعود صحراوي وعبد الهادي بن ظافر الشهري

الكلمات المفتاحية: التداولية – الدرس العربي الحديث – العلماء العرب القدامى – الخطاب – الجانب الاستعمالي للغة – البراغماتية .

Abstract: In this article, we address the topic of “Pragmatics” in the Modern Arabic Lesson in terms of terminology and the differences of opinions around it, and determining its placement , considering pragmatics as a modern linguistic science that has spread in recent decades alongside “structuralism” and “generative-transformational” Arab thinkers’ terminology for the concept of Pragmatics ales varied and varied due to its nature , which overlaps in several sciences such as “psychology” “anthropology,” and “philosophy” In addition, we sought to Height some models of modern Arabic pragmatic studies to demonstrate some of the efforts of Arab researchers in investigating and studying this modern science, which is mainly concerned with the colonial aspect language, by referring to the writings of ancient Arab scholars, and highlighting the pragmatic concepts contained in them, Among those researchers we find: Ahmed Al-Mutawakkil, Taha Abdel Rahman, Masoud Sahraoui and Abd elHadi bin Dhafer Al Shehri...

Keywords: Arab researchers – Modern Arabic – Pragmatics.

(1) مقدمة:

إن الباحث في اصطلاحات المفكرين العرب المختلفة لمفهوم التداولية يلاحظ تعددا وتنوعا بارزا لتعريف وتسمية هذا الدرس اللغوي الحديث الذي نال إقبالا واسعا من قبل الباحثين العرب ، غير أن المجمل بنظره في التراث اللغوي العربي القديم ينتبه لجذور الدراسة التداولية عند العلماء العرب قديما إن كانوا أصوليين أو بلاغيين أو نحاة ، وذلك يتجلى في اهتمامهم بالتواصل وسبل الإفهام عامة وعلاقة المخاطب بالمخاطب والمقام الذي تجري فيه العملية التواصلية ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عدم إغفال الجانب التداولي للغة آنذاك ، ومنه تعددت تحديدات وتعريفات هذا العلم الحديث الذي أخذ نصيبا كبيرا من البحث والدراسة نظرا لاهتمام الباحثين والدارسين به بسير غوار مباحثه ودلالاته خاصة في العقود الأخيرة . ولعل من أسباب رواج علم التداولية عامة بين المفكرين صلته الوثيقة بعلوم عدة أهمها: الفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع و المنطق ومنه فإن للتداولية حضوة كبيرة بين العلماء العرب المحدثين ، غير أنهم اختلفوا في ضبط اصطلاحاته وتحديد مبادئه . هذا ما سنتطرق له بالدراسة والتحليل ضمن ثنايا هذا المقال.

الإشكالية:

فما هي التداولية؟ وما علاقتها بالعلوم الأخرى كعلم الأنثروبولوجيا و علم النفس والفلسفة ؟ ولما تعددت اصطلاحات الدارسين والمفكرين حول التداولية ومفاهيمها؟ وهل التداولية امتداد لعلوم لغوية سابقة كالبنوية والتوليدية التحويلية ؟ أم أنها علم مستقل بذاته؟ وما هي المبادئ التي اعتمدها الدارسون العرب في تبيان الأصول التداولية في المدونات العربية؟ وهل استطاع الباحثون العرب الاستناد إلى النظرية الغربية في تقصي المعاني دون إغفال لما توصل إليه علماءنا العرب؟

أهداف المقال:

- إبراز التباين في تعريف علم التداولية عند العرب وإظهار غزارة الاصطلاحات المعتمدة في التحليل والتوضيح ، ثم التوصل إلى المفهوم و المصطلح الأقرب لغاية هذا العلم
- استظهار ما توصل إليه الدرس التداولي العربي الحديث في قراءة التراث القديم وإثبات أنه احتوى على مفاهيم تداولية هامة .
- كما يعتبر البحث التداولي مجالا خصبا و جديدا تعين علينا كباحثين الخوض في غمار درسه واستكشاف خفايا مبادئه ومفاهيمه خاصة ما تعلق منها بالبحث في المدونات العربية القديمة .

المبحث الأول: التداولية و إشكالية المصطلح في الدرس العربي الحديث.

تعددت تسميات التداولية في الدرس العربي الحديث نظرا لتشعب المفاهيم حول هذا العلم، وارتباطه بعدة علوم أخرى كما أسلفنا الذكر مما يساهم في شساعة البحث فيه وتنوع الآراء حوله.

المطلب الأول: التداولية العربية و المصطلح

نعالج في هذا المطلب تنوع وتعدد الاصطلاحات العربية المقترحة لتسمية هذا العلم المستجد المعروف عند الغرب بـ *pragmatique*. وكذا تعريف التداولية عند بعض الباحثين العرب.

الفرع الأول: شاعت عدة تسميات للتداولية عند الباحثين العرب منها: البراغماتية والبراغماتيك والبراجماتية وقيل التداولية والتداوليات والذرائعية والنفعية والمقامية¹، غير أن المصطلح الأكثر رواجاً، والذي اتخذته أغلب الدارسين العرب مصطلحاً معتمداً هو: التداولية و ذلك لقربه لمفهوم *pragmatique* الغربي الذي أرساه الباحث طه عبد الرحمان بقوله "وقد وقع اختيارنا منذ 1970م على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي "براغماتيقاً" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين "الاستعمال" و "التفاعل" معا، و لقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذي أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"² وهناك من رأى أن استخدام لفظ "التداولية" غير دقيق لأنه يحمل معناه الغربي الذي ينتمي إلى ثقافته الأصلية فيجب استخدام اللفظ الدخيل بشكل معرب كما هو: "البراغماتية" و الذي يعتبر أدق تعبيراً"³، مما تجدر الإشارة إليه الفوضى التي سادت ترجمة المصطلح ترجع أساساً إلى الخلط بين الترجمة اللفظية التي تبنى على أسس صورية بحتة و ترجمة المعاني و تقريب مفهومها و التي تعتمد أساساً على ترجمة المدلولات و تتبع المعنى الضمني للفظ.

الفرع الثاني: وفي تعريف علم التداولية نجد من الباحثين من يرى أنها: "الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام، كما تُعنى بالشروط و القواعد اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلية الذي يتحدث فيه المتكلم"⁴، ومنه فإن العلاقة بين الدلالة التداولية والنحو هي علاقة وثيقة تجمع بينهم التداولية في إطار السياق المباشر.

كما يرى الباحث محمود أحمد نحلة أن التداولية " فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم"⁵ وجاء في تعريف التداولية أيضاً " التداولية أقوال تتحول إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية بمجرد التلفظ بها"⁶.

المطلب الثاني: تعريف التداولية عند الباحثين العرب المحدثين

نعالج في هذا المطلب تعريف التداولية عند الباحثين العرب المحدثين الذين خصصنا بحثنا هذا في معالجة نظرياتهم التداولية وهم : طه عبد الرحمن و أحمد المتوكل ومسعود صحراوي ثم عبد الهادي بن ظافر الشهري.

الفرع الأول: تعريف التداولية عند طه عبد الرحمن وأحمد المتوكل

١ - طه عبد الرحمن : يعد من أبرز الباحثين في المجال التداولي، عكست مؤلفاته الكثيرة في مجال المنطق وفلسفة اللغة والتداوليات استراتيجيه علمية في وضع النظريات وتقويم التعريفات الغربية وصياغة المناهج وتطبيقها على أصناف الخطابات في التراث العربي الإسلامي⁷، كما يعرف الباحث التداولية بقوله "هي الدراسات التي تختص بوصف - وإن أمكن بتفسير - العلاقات التي تجمع بين "الدوال" الطبيعية و"مدلولاتها" و بين "الدالين بها" و هي تعالج أبوابا هامة من البحث التواصل والتفاعلي والإبلاغي نحو: أفارض الكلام و مقاصد المخاطبين و قواعد التخاطب"⁸.

هذا ويعتبر طه عبد الرحمن من أوائل الباحثين التداوليين العرب فهو يربط بين الدلالة اللغوية والمفهوم الاصطلاحي للفظ التداولية "فيقول: من المعروف إن الفعل "تداول" في قولنا " تداول الناس كذا بينهم" يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم"⁹، ومن المعروف أيضا أن مفهوم "الثقل" ومفهوم "الدوران" مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة... فيكون "التداول" إذا جامعا بين جانبيين اثنين هما: التواصل والتفاعل فمقتضى "التداول" إذ هو أن يكون القول موصولا بالفعل¹⁰. والتداولية أيضا من جهة المفهوم تعني "باللغة من جهة الاستعمال والتخاطب"¹¹.

سعى طه عبد الرحمن إلى الاستقلال عن المعايير الأجنبية في الوصف وإنتاج المعرفة والاجتهاد في الأخذ بأسباب اللغة العربية في التعبير والتبليغ¹²، هذا وقد اهتم الباحث بالقضايا التداولية من وجهة نظر فلسفية، مستلهما في ذلك نتائج علمين هامين هما: اللسانيات والمنطق¹³.

ب- أحمد المتوكل: اهتم التداوليون بوظيفة اللغة وباستعمالها فلا معنى للغة إذ لم يستطع أصحابها التواصل من خلالها، هذا ما تنبه إليه الباحث أحمد المتوكل في أعماله التي بدأ في نشرها منذ سنة 1985م في مشروعه اللساني "النحو الوظيفي" الذي تتبع في أحكامه ما أسسه (simon dik) من نموذج وظيفي جديد مبني على أسس لغوية دلالية تركيبية وتداولية، تحددت بذلك ثلاثة أنواع على مستوى نحو اللغة العربية الوظيفي تحكمها قواعد إسناد الوظائف إلى جانب قواعد إسناد الحركات الإعرابية في الجملة. فما يهمنا في درسنا هذا هو المستوى التداولي الذي سنأتي بتبيان في الأسطر القادمة.

الفرع الثاني : تعريف التداولية عند مسعود صحراوي وعبد الهادي بن ظافر الشهري

١- مسعود صحراوي: نالت أعمال الباحث "مسعود صحراوي" مكانة لا يستهان بها في مجال الدرس التداولي العربي الحديث نظرا لما توصل إليه من نتائج مهمة إثر دراسته المعمّقة لنظرية أفعال الكلام - خاصة - عند العرب، في كتابه الموسوم ب: التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي - وفي مقالات و دراسات أخرى كثيرة، هذا ما حذى بكثير من الدارسين إلى عد مؤلفه المذكور أنفا عملا جديرا بالاهتمام¹⁴. يعطينا الباحث تعريفا للتداولية بقوله "التداولية مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والمقامات المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب" رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة" والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية.... الخ"¹⁵.

ومنه فقد استطاع الباحث إعطاء مفهوم للتداولية بالنظر إلى تشعب مفاهيمه وتداخلها فيقول¹⁶ "التداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علم يكفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعدّدة في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي و تفسيره".

-ومنه فإن الباحث يقرّ بالتداخل والترابط بين التداولية وعلوم أخرى كعلم النفس المعرفي و علوم الاتصال وغيرها، فالتداولية كمصطلح يضم أوجها متعددة ومتشعبة لم يستقر الباحثون على تعريف واحد لها ولا حتى اصطلاحا لغويا جامعا يبرز معالمها، فارتباط التداولية عموما بغيرها من العلوم هو دليل على شساعة البحث في مجالاتها.

ب- عبد الهادي بن ظافر الشهري: تعد بحوث في مؤلفاته - استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية من أبرز الدراسات الحديثة التي عُنت بالبحث التداولي، ففي تعريفه للتداولية يبرز أهمية السياق ودوره في التواصل الاجتماعي عامة يقول "إن الدرس التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلّا فيه، فليست وظائف مجردة، وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز"¹⁷.

- يقسّم الشهري الدراسة على بابين، نجد في الباب الأول ثلاثة فصول، عالج في الفصل الأول مفهوم الإستراتيجية في الخطاب باعتباره لبّ الدراسة ثم انتقل لبيان معيار العلاقة بين طرفي الخطاب ومعيار شكل الخطاب وصولا إلى معالجة العوامل المؤثرة في اختيار إستراتيجية معينة أثناء الخطاب.

وفي الثاني تناول معايير تصنيف تلك الاستراتيجيات وأنواعها التي قسمها إلى الإستراتيجية التضامنية ثم التوجيهية فالتلميحية والإقناع.

- ينطلق الباحث في تحليله التداولي للغة من إبراز أهمية الدراسة الوظيفية للغة باستبيان اتجاهات البحث اللغوي الصوري بغض النظر عن سياقاتها ، وإثبات عدم كفايتها في التحليل اللغوي ، لذا بادر كثير من الدارسين إلى تبني "الاتجاه التواصلية"¹⁸ من خلال ربط الخطاب بسياق إنتاجه، ومنه فإن للغة وظائف عدة تختلف باختلاف ظروف الاتصال عامة ، ثم يأتي الباحث بسرد عميق لوظائف اللغة عند العلماء والباحثين العرب والغربيين في محاولة لضبط محتواها وشرح مضامينها.

ومنه رغم التباين الواضح في تعريفات باحثينا العرب للتداولية إلا أنها تنتظم كلها في سلسلة واحدة، تدور في فلك استعمال اللغة و شروطها التي تتمحور حول السياق (المقام).

المبحث الثاني :نماذج لدراسات تداولية عربية حديثة:

عكف الدارسون العرب المحدثون على دراسة "علم التداولية" على اعتباره درسا جديدا بالنظر إلى العلوم السابقة له و السائدة آنذاك " البنيوية و التوليدية التحويلية " فكان الإقبال على تقفي آثار هذا العلم الجديد لإعطاء الأهمية لدراسة البعد الإستعمالي للغة الذي صار الشغل الشاغل لعلماء التداولية ، فاستندوا إلى معايير النظرية الغربية في استقصاء المعاني و استنباط مقاصد المتكلمين ضمن المقام و أطراف التواصل ، دون إغفال لما توصل إليه علماءنا العرب القدامى في درسه الأصيلي كان أو البلاغي أو النحوي ، ذلك بالاستعانة بالأدوات التحليلية الحديثة في قراءة التراث العربي القديم .

- من هنا ارتأينا إدراج بعض النماذج الفاعلة في دراسة البعد التداولي العربي الحديث من بينهم :

المطلب الأول : التداولية عند طه عبد الرحمان وأحمد المتوكل

عالجنا في هذا المطلب الرؤيا التداولية للباحث طه عبد الرحمن ثم تقسيمه الثلاثي للسانيات يليه تقسيم ثلاثي لأبواب التداولية ثم تطرقنا إلى دراسة أحمد المتوكل الموسومة بالنحو الوظيفي والتي قسم فيها التداولية إلى مستويات داخلية وخارجية .

الفرع الأول: دراسة طه عبد الرحمن

قسم طه عبد الرحمن اللسانيات تقسيما ثلاثيا ، كما يلي:¹⁹

أ- **الدَّلَالِيَّات** : نقصد بها الدراسات التي تختص بوصف وإن أمكن بتفسير "الدال" الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته وبهذا تكون "الدَّلَالِيَّات" عندنا شاملة للأقسام الثلاثة المشهورة : "الصوتيات" و"الصرفيات" و"التركيبات" .

ب- **الدَّلَالِيَّات**: هي الدراسات التي تخص بوصف وإن أمكن تفسر العلاقات التي تجمع بين "الدوال" الطبيعية و"مدلولاتها" سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج.

ج- التداوليات: هي الدراسات التي تختص بوصف - وإن أمكن بتفسير - العلاقات التي تجمع بين "الدوال" الطبيعية و "مدلولاتها" وبين "الدالين" بها.

تقسيم التداوليات إلى أبواب ثلاث هي:

- أغراض الكلام

- مقاصد المتكلمين

- قواعد التخاطب

ومنه فقد تميز الباحث طه عبد الرحمان برؤيته التداولية الرائدة والتي تجلت ملامحها في اهتمامه الجلي بالتراث اللغوي العربي ومحاولة تأصيل المفاهيم اللغوية القديمة معتمدا في ذلك على مجموعة من المفاهيم المنطقية والفلسفية. فوضع للتداول اللغوي شروطا لاستقامته:

1/ المنطقية: - لا يكون المحاور ناطقا حقيقيا إلا إذا تكلم لسانا طبيعيا معينا، ملما بقواعد لغته (الصرفية ، النحوية.....) ومن طبيعة كل منطوق.

- أن لا تنفك الصور اللفظية فيه عن مضامينها

- أن يكون متعدد الوظائف ومتداخل المستويات .

- أن يكون موجها توجيهيا علميا .

- أن يكون مفتوحا فتحا مستمرا ، تبني موضوعاته بناءا تدريجيا.

2/ الاجتماعية: أن يتوجه إلى غيره مطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه.

3/ الاقناعية: عند مشاركة المحاور غيره ، يتسم ذلك بالافتناع برأي المحاور .

4/ الاعتقادية: كل مُحاور يعتقد القضايا الضرورية والبديهية فضلا عن كونه يعتقد الرأي الذي يعرضه على الغير ويعتقد صحة هذا الاعتقاد²⁰.

يتجلى لنا مما سبق أن طه عبد الرحمان عمل على تعميم الترجمة التأصيلية وممارستها في دراسته المنطقية والفلسفية اللغوية والتداولية وهو بذلك أزال النقاب عن كثير من الصعوبات والمغالطات في إشكاليات عدة مست الترجمة إلى العربية ، وما تتبع لفيف من الباحثين لمصطلحاته والأخذ بها إلا دليل واضح لريادته المعرفية في مجال التداولية.

- إن التفسير المفهومي الذي قدمه طه عبد الرحمان للتداولية يمنحنا من الناحية الإجرائية قدرة على تحليل النصوص اللغوية من خلال منحنيين أحدهما استعماليا والآخر تخاطبي يبحث الأول في الجوانب الإستعمالية في النص التي انتشرت من خلال الممارسات اللغوية التي ترسخت في الهياكل اللغوية المختلفة، والآخر يبحث في تلك الجوانب التواصلية التي ينشئها المتخاطبون عند ظهور ظروف جديدة للتواصل²¹.

تتجلى نظرة طه عبد الرحمان ودراساته الفلسفية التداولية في "محاولته تحديد شروط المناظرة المادية والمعنوية وظائفها وأخلاقيات المتناظرين، وتبعاً لذلك سعى الباحث إلى تحديد مكونات البنية الخطابية والمنطقية وتبيان السمات التداولية لوسائل الاستدلال التي اعتمدت في المناظرة من قبل علماء الكلام المسلمين، مثل: القياس، الاستنباط، والاستقراء"²².

الفرع الثاني: التداولية عند أحمد المتوكل

يقسم المتوكل الوظائف التداولية - إضافة إلى ما قدمه "سيمون ديك" - إلى:

المستوى التداولي (الوظائف التداولية) : _ قسم الوظائف التداولية إلى قسمين

داخلي: يشمل البؤرة (Focus) والمحور (Topic) وخارجي: المبتدأ (Theme) والذيل (Tail). وأقام هذا التصنيف على أساس وضع الوظائف بالنسبة للعمل، في حين أن الوظيفتين الثانية تستندان إلى مكونين يعتبران جزئين من الحمل ذاته²³، وقد أضاف أحمد المتوكل وظيفة خارجية أخرى هي "المنادى" وبهذا يكون عدد الوظائف التداولية في النحو الوظيفي خمس وظائف هي :

البؤرة - المحور - المبتدأ - الذيل - المنادى²⁴

(أ) **الوظيفتان الداخليتان:** الوظائف التداولية الداخلية وظيفتان تستندان وفقاً للسياق (المقامي والمقالي) إلى موضوعين لاحقين داخل حمل الجملة نفسه : هما المحور والبؤرة²⁵.

أ- **المحور (Topic) :** تسند الوظيفة المحور إلى المكون الدال على الذات التي تشكّل محط الحديث داخل الحمل²⁶.

ب- **البؤرة (Focus) :** تبنى أساساً على فكرة أن وظيفة البؤرة تستند إلى أن المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزاً في الجملة ، ويمكن التمييز بين نوعين من البؤرة .

أ- **بؤرة الجديد:** تعرف بأنها البؤرة المسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب²⁷، كما هو الشأن في المحاورة التالية:

- ماذا شربت بعد الأكل ؟

- شربت كأس شاي²⁸

معنى هذا أنّ المخاطب يتعرف على المعلومة الجديدة من خلال هذه البؤرة ، وتطابق هذه البؤرة طبقة مقامية تشمل على مقامين:

- مقام 1: يجهل المخاطب المعلومة التي يقصد المتكلم إعطاءه إياها (أو يعتبر المتكلم أن المخاطب يجهلها) (يكرر الطلب).

- مقام2: يجهل المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطب إعطاءه إياها (في حالة الاستفهام) سمّاها (بؤرة تتميم)²⁹.

ب- بؤرة المقابلة: تسند إلى المكون الذي يحمل معلومة تصحيحية تعوّض معلومة في مخزون المخاطب يعتقد المتكلم أنها غير واردة³⁰ ، تفرعت إلى خمس فروع هي:

ب-1- بؤرة الجحود: وظيفة تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي تعوّض المعلومة التي يراها المتكلم غير واردة.
ب-2- بؤرة التعويض وظيفتها تداولية تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي تعوّض المعلومة التي يراها المتكلم واردة³¹ .

ب-3- بؤرة الحصر: تستند إلى المكون الحامل للمعلومة التي تحصر مجموعة من القيم في قيمة واحدة أو أكثر مما يعد قيمة واردة.

ب-4- بؤرة المصادقة: تسند على المكون الحامل للمعلومة التي يصادق المتكلم على ورودها³² .
أما من حيث مجال البؤرة يمكن التمييز بين³³:

- بؤرة المكون: باعتبار أن البؤرة مسندة إلى المكون من مكونات الجملة.
- بؤرة الجملة: باعتبار إسناد البؤرة إلى الجملة ككل ، لا إلى إحدى مكونات الجملة ، وتتمثل في:

ب) الوظائف الخارجية:

أ- المبتدأ: يعتبر وظيفة تداولية متميزة عن الوظائف التركيبية و على هذا الأساس يعرفه "سيمون ديك" بقوله "هو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا"³⁴

ب- الذيل: و هو المكون الذي يوضّح أو يعدل أو يصحح معلومة واردة في الحمل ، وينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام :

- ذيل التوضيح: التي تتجلى في إزالة الإبهام من معلومة غير واضحة .

- ذيل التعديل: تحديد معلومة و إعطاء البديل عنها

- ذيل التصحيح: تصحيح معلومة غير مقصود إعطاؤها.

ج- المنادى: الذي اقترح المتوكل تعريفه كما يلي "تسند الوظيفة "المنادى" إلى العنصر الذي يشكل محط النداء في الجملة"³⁵.

بهذا نخلص إلى أن أعمال المتوكل تظهر بجلاء مكونات النظرية الوظيفية ، المعتمد في كثير منها على خصائص البعد التداولي باعتباره خير من يمثل ويدرس وظائف اللغة "فحين يتنافس نحوان يقترحان كلاهما تحليلا وظيفيا

لنفس الظاهرة ، يفضل النحو الذي يرصد الترابط القائم بين البنية و الوظيفة على أساس أن الوظيفة تحدد البنية"³⁶، في قول المتوكل هذا إشارة واضحة إلى نجاعة المنهج التداولي في تبيان وظيفة اللغة.

تعتبر جهود المتوكل جهوداً رائدة في مجالها ، وما كتاباته المستفيضة في مجالات النحو الوظيفي إلا دليل على ذلك ، إضافة إلى معالجته لظواهر تداولية عدّة منها مدونة "السكاكي البلاغية" معالجاً فيها ظاهرة الاستلزام التخاطبي في مقال بعنوان "اقتراحات في الفكر اللغوي العربي القديم بوصف ظاهرة الاستلزام الحواري.

- استطاع المنهج التداولي الذي اعتمده المتوكل في دراسة اللغة العربية أن يقدم قراءة جديدة للمفاهيم العربية لكنها قراءة مكملّة - شارحة - داعمة ، لا لاغية ، ولا متهجمة³⁷.

قدّم هذا الباحث مصطلحات جديدة في الدرس العربي التداولي تميّزت بدقتها و نجاعتها منها:

البؤرة - المحور - الرتبة الأصل - إبراز التداولي - القولب المساعدة - تلازم التغليب³⁸.

المطلب الثاني: دراسة مسعود صحراوي وعبد الهادي بن ظافر الشهري

اتسمت دراسة مسعود صحراوي بالميل لمجال الأفعال الكلامية باعتباره مجالاً مهماً من مجالات التداولية ، ومنه سار البحث في فلك تبيان مفاهيم الأفعال الكلامية الغربية وإدراج مثيلاتها في البحث العربي القديم ، ثم ارتأينا تسليط الضوء على جهود " الشهري" من خلال إبراز وظيفتي التداولية وهما الوظيفة التفاعلية والوظيفة التفاعلية وما يندرج ضمنهما ، هذا ما سنناقشه في الأسطر القادمة.

الفرع الأول: دراسة مسعود صحراوي

اختار الباحث مجالاً خصباً للدرس التداولي في بحوثه ألا وهو -الأفعال الكلامية- في مؤلفه "التداولية عند العلماء العرب" ، فخصّص الفصل الأول منه لتبيان الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي الذي أزال فيه النقاب عن عديد من المفاهيم اللاصقة بالتداولية منذ نشأتها ، فعرف التداولية وفق الاستعمال اللغوي فهي بعيدة كل البعد عن التحليل الصوري البحث ، فالتداولية هي "دراسة استعمال اللغة فهي لا تدرس البنية اللغوية ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة" ، ثم وضّح مهام التداولية والفائدة المرجوة منها في قوله³⁹:

- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات

- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر على المباشر

- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية في معالجة الملفوظات.

ثم تدرّج في بحثه ليزيل اللبس الوارد في التصورات الخاطئة عن التداولية - على حد تعبير الباحث-، مع شرح أبرز المفاهيم التداولية من بينها: متضمنات القول ، الاستلزام المحادثي ، نظرية الملاءمة ، الفعل الكلامي، هذا الأخير الذي فصل في دراسته ضمن ثلاثية البحث اللغوي المتمثلة في:

- 1- الأفعال الكلامية في الدرس البلاغي العربي .
- 2- الأفعال الكلامية في الدرس الأصولي العربي
- 3- الأفعال الكلامية في الدرس النحوي العربي .
- إن الاهتمام بالدرس اللغوي العربي القديم جعل بحوث مسعود صحراوي تحتل مكانة في الدرس اللغوي العربي الحديث، هذا ما يضيف للبحث الكثير مما نحتاجه في استبيان تراثنا اللغوي العربي وفهمه .
- فالببحث في نظر - مسعود صحراوي⁴⁰ - محاولة تأصيلية و إثراء الرؤية الغربية المعاصرة للظاهرة و تعميقها بمزاوجتها بالجهد الذي بذله أسلافنا القدامى.
- إثبات احتواء التراث العربي على مباحث و أفكار ذات توجهات و إجراءات تداولية.
- الإسهام في تعريف القراء و الطلبة ، بنسق لغوي حديث (التداولية) .

الفرع الثاني: دراسة عبد الهادي بن ظافر الشهري

يرى الباحث أن للتداولية وظيفتان رئيسيتان هما⁴¹:

- 1- الوظيفة التعاملية : هي ما تقوم به اللغة من نقل ناجح للمعلومات ، تبرز من خلال قيمة الاستعمال اللغوي .
- 2- الوظيفة التفاعلية : هي التي يقيم الناس بها علاقاتهم الاجتماعية فتؤثر اللغة في تثبيت تلك العلاقات. ويندرج ضمن هاتين الوظيفتين وظائف أخرى- نذكر على سبيل المثال- منها: الوظائف اللغوية عند "جاكسون jacobson" الذي يوزعها على ستة عناصر هي:

- المرسل و المرسل إليه و المرجع (المحتوى) ، القناة ، وهي ما يسمح بقل الرسالة ، والسنن (نظام التأليف أي ما يفهمه المرسل و المرسل إليه) والرسالة⁴².
- هذه العناصر تؤدي دور الحلقات التي بترابطها تتم عملية التواصل ، ولكن لكل حلقة منها دور في تحديد وظيفة التواصل ومنه فوظائف اللغة ستة هي⁴³:

- 1- الوظيفة التعبيرية (الانفعالية): و تتمحور حول المرسل، إذ تهدف إلى التعبير عن موقفه.
- 2- الوظيفة الإيعازية أو الندائية : و تتمحور حول المرسل إليه مثل النداء والأمر.
- 3- الوظيفة المرجعية: وتتمركز حول المرجع.
- 4- وظيفة إقامة الاتصال : وتتمركز حول القناة أو وسيلة الاتصال .
- 5- وظيفة ما فوق اللغة: وتتمحور حول لغة الخطاب ذاتها مثل السؤال عن تفسير كلمة ما وردت في الخطاب .
- 6- الوظيفة الشعرية: تتمحور حول المرسل أي تشكيلات الإيقاع.

ثم بيّن وظائف اللّغة عند كثير من الدارسين أمثال: "روبل **Reboul**" و "ليش **Leech**" ثم **"popper"** وغيرهم الكثير .

- يخلص الباحث أخيرا إلى أن تعدّد الوظائف لا محالة يؤدي إلى تعدّد وتباين الآراء حول تعريف التداولية فالوظيفة مرتبطة بالاستعمال الذي يخرج بالدرس اللّغوي من الانكباب على الشكل إلى البحث عن دراسة الخطاب تداوليا⁴⁴ . فالتداولية تارة ترتبط ويقتصر البحث فيها على دراسة المعنى (المعنى في إطار السياق) وقد يعرفها انطلاقا من اهتمامها بتحديد مراجع الألفاظ وأثرها في الخطاب كما قد يعرفها من وجهة نظر المرسل (إدراك المعايير التي توجهه عند إنتاج الخطاب)⁴⁵ .

- ومنه فإن نظرة الشهري للتداولية تعد ولا لبس في ذلك من أهم الدراسات التداولية الحديثة فقد حاول ضبط المفاهيم وإرساء المبادئ التمهيدية للتداولية العربية من خلال طرح جملة من الأفكار المبنية على ما توصل إليه الدارسون الغربيون وكذا ما جاء به الباحثون العرب أمثال طه عبد الرحمان و أحمد المتوكل اللذان أشاد ببحوثهما وبفضلهما على التداولية العربية وكذا ما تطرق إليه القدماء من النحاة أمثال : سيبويه و شرح المفصل لابن يعيش... ومن البلاغيين: كالسكاكي في مفتاح العلوم والجرجاني في أسرار البلاغة ،ومن البحث الأصولي الذي يعد من أبرز الدراسات القديمة التي عاجلت المنهج التداولي مثل ما يتعلق بإنتاج المعنى و تأويله و شروط ترجيح معنى على معنى آخر ، كما في دراسات الشاطبي في الموافقات والغزالي في المستصفى ، والقرافي في التنقيح ومن نحاهم ، ومن جانب آخر تعد أعمال الفقهاء من الأعمال التي لامست بعضا مما يندرج في الإطار التداولي، ومن ذلك ما ورد عن بن تيمية في الفتاوى، وابن القيم الجوزية في أعلام الموقعين وغيرهم كثر ، وقد تمّ التركيز لديهم على بعض الجوانب في الأبواب التي تعالج المعاملات و العقود⁴⁶ .

الخاتمة :

- تعتبر التداولية علما لغويا مستقلا بذاته يدرس الجانب الاستعمالي للّغة، كما ويتقاطع في مفاهيمه مع علوم أخرى كالمنطق والفلسفة و الأنثروبولوجيا ... هذا ما ساهم في اتساع مجال الدراسة و البحث فيه .

- ساهم "طه عبد الرحمان" في تقديم مصطلح "التداولية" كمصطلح معتمد في الدراسات العربية، كما أدرج طرقا لتحليل النصوص من جانبيين : استعمال والآخر تخاطبي .

- كما ساهم "أحمد المتوكل" بنظريته "النحو الوظيفي" في إبراز وظيفة اللّغة باستعمال خصائص البعد التداولي.

- أما "مسعود صحراوي" فأتجه نحو منهج التخصيص في البحث، فدراسته مركّزة على نظرية "أفعال الكلام" في التراث اللّغوي العربي والتي أفرزت نتائج مذهلة شملت الدرس البلاغي و الأصولي و كذا التّحوي.

- يعد "عبد المهادي بن ظافر الشهري" من أهم الباحثين التداوليين العرب، ففي بحثه أرسى لمبادئ التداولية العربية، من خلال ما توصل إليه الدارسون العرب.
- شكّل التراث العربي القديم - إن كان الدرس البلاغي أو الأصولي أو حتى النحوي- مجالا خصبا للدراسات التداولية الحديثة فقد استثمر الباحثون المعطيات التراثية واستغلوا نتائجها لإثبات أنه احتوى على مفاهيم لسانية هامة.
- لم تكن الغاية من الدراسات التداولية العربية إسقاط معالم النظرية الغربية على التراث ومحاكمته إليها فلكل نظرية خصوصيتها، لكن الهدف هو الاستعانة بالأدوات التحليلية الحديثة في قراءة التراث اللغوي القديم .

الهوامش :

- 1 خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية -مع محاولة تأصيلية في الدرس اللغوي القديم- ، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، ط1، ص:65.
- 2 المرجع السابق ص:28.
- 3 ينظر: محمود عكاشة -النظرية البراغماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ/القاهرة مكتبة الآداب ط1: 2013 ص:03.
- 4 صلاح فضل- بلاغة الخطاب و علم النص ، عالم المعرفة- الكويت 1992-ص20.
- 5 عمر بلخير - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية -منشورات الاختلاف- الجزائر-ط2-2003. ص:08.
- 6 محمود أحمد نخله ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر -دار المعرفة الجامعية (دط) 2002. ص:12.
- 7 آمنة بلعلي -المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان و تطبيقاته-ملتقى علم النص-معهد اللغة/ جامعة الجزائر. العدد17/ص:278.
- 8 طه عبد الرحمان في أصول الحوار و تجديد علم الكلام-منشورات المركز الثقافي العربي -الدار البيضاء /المغرب، ط2-2000م، ص:28.
- مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط، دار الشرق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص327/ 9328 .
- 10 طه عبد الرحمان -تجديد المنهج في تقويم التراث ، طبع المركز الثقافي العربي /بيروت/لبنان، ط2-ص:244.
- 11 طه عبد الرحمان -حوارات من أجل المستقبل- دار المهادي للطباعة و النشر ، بيروت/ لبنان ط1-1424هـ/2003م -ص:75-76-77.
- 12 في أصول الحوار، ص:29.
- 13 المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان و تطبيقاته ص:278-281.
- 14 عيد بلبع -التداولية إشكاليات المفاهيم بين السياقين الغربي و العربي، ص:42.
- 15 مسعود صحراوي -التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية -في التراث اللساني العربي) -دار التنوير للنشر و التوزيع حسين داي /الجزائر، ط1-2008-ص:03.
- 16 مسعود صحراوي - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت. ص:16.
- 17 إستراتيجية الخطاب ، ص:23.
- 18 إستراتيجية الخطاب ، ص:9-10.
- 19 المرجع السابق ص: 28 .
- 20 في أصول الحوار ص:37-38.

- 21 يعرب جرادي- التداولية مصطلحا ومفهوما في الدراسات العربية المعاصرة - جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة/ جامعة الوادي ص197.
- 22 في أصول الحوار ص214.
- 23 أحمد المتوكل - الوظائف التداولية في اللغة العربية / دار الثقافة/ الدار البيضاء ، المغرب ط1 1985. ص:17
- 24 محمد بودية- مفهوم الوظيفة عند أحمد المتوكل و"سيمون ديك" ، قراءة في نموذج النحو الوظيفي -/جامعة محمد خيضر بسكرة-جانفي 2013 ص:256.
- 25 أحمد المتوكل-المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الامتداد و الأصول/دار الأمان/الرباط/1427هـ/2006م.
- 26 أحمد المتوكل-اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري-منشورات عكاظ/الرباط1989 ص:141.
- 27 أحمد المتوكل-الوظائف التداولية في اللغة العربيةص:28.
- 28 آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ص:51.
- 29 المرجع السابق، ص:130.
- 30 المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الامتداد و الأصول ص:94
- 31 أحمد المتوكل - قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، /دار الأمان، ص:199 الرباط، د، ط-2001.
- 32 أحمد المتوكل - الوظيفة و البنية (مقاربة وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية ، منشورات عكاظ-الرباط 1993م ص:133.
- 33 الوظائف التداولية في اللغة العربية ، ص: 31-32.
- 34 نفسه: ، ص:111.
- 35 اللسانيات الوظيفية-ص:140
- 36 نفسه-ص:82.
- 37 خليفة بوجادي - تلقي المنهج التداولي في اللسانيات العربية-دراسة في جهود أحمد المتوكل/مجلة الآداب و اللغات/العدد10 /أكتوبر2012-الأغواط-الجزائر.
- 38 أحمد المتوكل ، الوظيفة بين الكلية و النمطية - /دار الأمان للنشر و التوزيع-الرباط/1424هـ/2003م.
- 39 نفسه ، ص:37-38.
- 40 التداولية عند العلماء العرب - ص:10.
- 41 نفسه ص:16.
- 42 نفسه ص:12.
- 43 الشهري، ص:12-13 عن "رومان جاكبسون"-التواصل اللغوي ووظائف اللغة، ميشال زكريا-الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت/ط2/1405هـ/1985م-ص:85-91.
- 44 إستراتيجية الخطاب ص:20.
- 45 نفسه ص:22.
- 46 استراتيجيات الخطاب، ص:11.